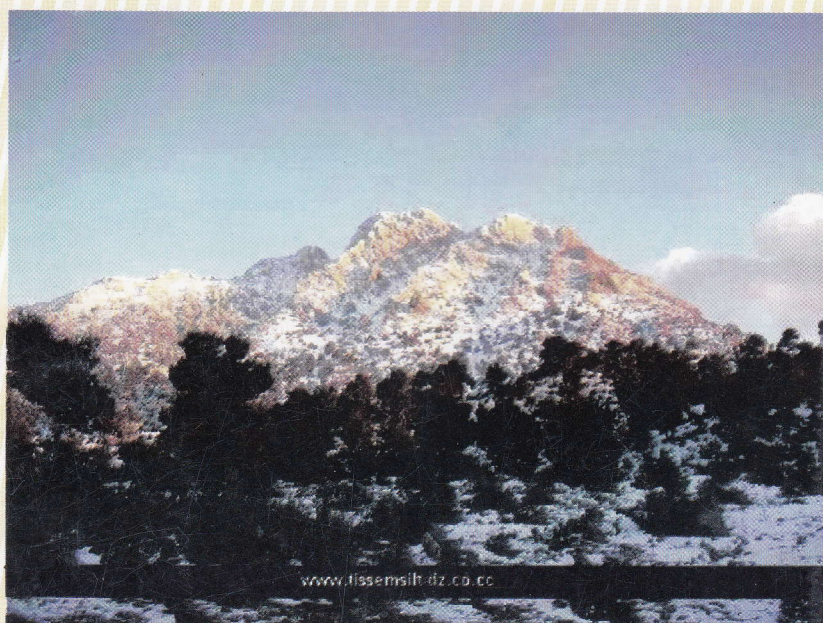


المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت



العدد : 02 - ديسمبر 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت-
الجزائر

المعيار

مجلة دورية محكمة تصدر عن
المركز الجامعي تيسمسيلت



العدد: 02 - ديسمبر 2010

منشورات المركز الجامعي بتيسمسيلت-
الجزائر

المعيار



مجلة دورية محكمة تصدر عن

المركز الجامعي تيسمسيلت

تعنى بالدراسات الأدبية والقانونية والاقتصادية باللغات العربية والفرنسية والإنجليزية.

العدد الثاني ديسمبر 2010

رئيس المجلة

د. الطيب بن جامعة

المدير المسؤول

رئيس التحرير

د. محمد بلحسين

أ. رشيد مرسي

رئيس هيئة التحرير

أ. بشير دردار

هيئة

التحرير

أ. خالد تواتي

أ. خالد روشو

أ. قدوية يعقوبي

أ. دايري مسكين

أ. الحاج لونيس بلخياطي

أ. الجيلالي لعقاب

الهيئة

العلمية

أ.د محمد عباس - جامعة تلمسان -

أ.د مختار حبار - جامعة وهران -

أ.د عبد الجليل مرتاض - جامعة تلمسان -

أ.د محمد بلوحي - جامعة بلعباس -

د. بوسماحة الشيخ - جامعة تيارت -

أ.د شريط عابد - جامعة تيارت -

أ. رابحي عبد القادر - جامعة سعيدة -

د. كبريت علي - المركز الجامعي تيسمسيلت

المراسلات

الأستاذ: رشيد مرسي

المركز الجامعي تيسمسيلت

الهاتف/ الفاكس: 046 49 56 18

البريد الإلكتروني: rachidmersi@yahoo.fr



شروط النشر بالمجلة

- المعيار مجلة علمية محكمة تنشر البحوث الأكاديمية والدراسات الفكرية ، العلمية، الأدبية التي لم يسبق نشرها من قبل.
- دورية تصدر مرتين في السنة عن المركز الجامعي بتيسمسيلت.
- تُقبل البحوث باللغات العربية و الفرنسية و الانجليزية.
- تخضع البحوث و الدراسات المقدمة للمجلة للشروط الأكاديمية المتعارف عليها.
- تخضع البحوث للتحكيم من طرف اللجنة العلمية للمجلة.
- تُقدم البحوث و الدراسات مكتوبة في ورقة على مقاس B5 بهامش 2.5 سم عن يسار الصفحة وأسفلها وأعلاها، وهامش 3 سم يمين الصفحة.
- تتم الكتابة بخط (Simplified Arabic) حجم(14)، وفي الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تتم كتابة البحوث كاملة أو الفقرات والمصطلحات والكلمات باللغة الأجنبية داخل البحوث المكتوبة باللغة العربية بخط (Times new roman) حجم (14)، و في الهامش بالخط نفسه حجم (12).
- تكون الهوامش والإحالات في آخر الدراسة ولا يقبل استعمال التهميش الأوتوماتيكي.
- يُقدم البحث مخزناً في ملفي word و pdf في قرص مضغوط وفي نسخة ورقية مطبوعة عليهما البيانات الضرورية الخاصة بالمقال وصاحبه.
- لا يقل حجم البحث عن 08 صفحة ولا يزيد عن 20 صفحة.
- الأعمال المقدمة لا تُردّ إلى أصحابها سواء نشرت أم لم تنشر.
- المواد المنشورة تعبر عن آراء أصحابها، و المجلة غير مسؤولة عن آراك وأحكام الكتاب. كما أن ترتيب البحوث يخضع لاعتبارات تقنية و فنية.

المدير المسؤول عن النشر

محتويات العدد

• كلمة

• مقالات اللغة والأدب العربي

- 09..... إشكالية الأدب الجزائري المكتوب باللغة الفرنسية.
- 20..... منحنيات السؤال الإبداعي في ديوان (توشيحُ الذَاكرة) للشاعر مجدوب العيد المشراوي.
- 33..... إشكالات النص المترابط.....
- 54..... التأويل وأثره في نشأة الفرق.....
- 73..... الشُّروحات المجازية في مُعجم أساس البلاغة دراسة في المنهج والمحتوى.....
- 88..... مستويات اللّغة الصوفية عند محي الدين بن عربي.....
- 101..... الهاجس الإبستمولوجي في رسائل الجاحظ.....
- 124..... الرواية المغاربية المكتوبة بالعربية..في النشأة والتطور.....
- 143..... سمات القصيدة المعاصرة.....
- 163..... البعد الإنساني في شخصية الأمير عبدالقادر الجزائري.....

• مقالات العلوم القانونية والإدارية

- 185..... المركز القانوني للصحفيين أثناء الحروب وحمايتهم من أثاره.....
- 207..... منهج المقارنة بين الشريعة و القانون.....
- 227..... حق الزوجة في التطليق لعدم الإنفاق.....
- 243..... المسؤولية الجنائية الداخلية لرؤساء الدول.....

• مقالات العلوم الاقتصادية والتجارية

- 265..... واقع وآفاق التنمية السياحية في ظل التحديات الراهنة في الجزائر
- 285..... دور تطبيق مفهوم التسويق بالعلاقات في بناء و تدعيم المزايا التنافسية للمؤسسة.....
- 316..... إستراتيجية تطوير المنتجات كأداة لتحقيق التميز للمؤسسة

2 1 2



" الإبداع نقد، والنقد إبداع "

أوكتافيو باث

هذه المجلة المعيار

تهفو في عددها الثاني إلى تأسيس رؤيا نقدية وفكرية حول مجموعة من المفاهيم والقضايا والظواهر التي تشكل محوراً إشكالياً في ميادين أدبية واقتصادية وقانونية وفكرية.

كما تحاول تجاوز الطروحات السابقة بآليات ومفاهيم تتماشى وطبيعة التحول والمغايرة، والاستمرارية الزمنية، وما تفرزه من مفارقات معرفية وفكرية. في شتى الميادين.

لذلك فإن **المعيار** تفتح أفقها للنقاد والباحثين للمساهمة في إثراء مدونتها النقدية والفكرية.

د. بلعسين محمد

الشروط والمجازية في مفهم أساس البلاغة
دراسة في النسيج والمحتوى

الأستاذ قاسم قادة
المركز الجامعي تيسبسيلت

الشروح المجازية في معجم أساس البلاغة

دراسة في المنهج والمحتوى

الأستاذ قاسم قحادة

المركز الجامعي تيسمسيلت



إنَّ المُتصفح لفحوى المعاجم العربية القديمة يستقرّ في ذهنه أمر البحث الجذّي الذي تشبّع به الأوّلون ، و المُجسّد في تتبّع حركيته و تواصلها ، فالألفاظ واحدة و لكنّ الرّؤى في الكشف عن دلالتها

وتصنيفها يختلف من عالم لآخر ، و من عصر إلى عصر آخر ، "فمنهم من اختار جمع المواد حسب الألفاظ مُرتباً إيّاها ترتيبه الخاص ، و منهم من رأى جمع المواد حسب الموضوعات مُبوّباً لها حسب المعاني " (1)

كما اجتهدت مجموعة أخرى و نهجت نهجاً آخر تمثل في " ترتيب الألفاظ على مخارج الحروف أو على الحروف الهجائية " (2) و لم يقف المُعجميون في منهجهم عند هذين المنهجين بل منهم من اجتهد في " إيراد الألفاظ الخاصّة بالموضوع المعقود له الباب و الاستشهاد لكلّ منها أو لبعضها " (3) ، ممّا أفرز لنا هذا الكمّ المعتبر من المعاجم ، و ستجدي مُضطراً لأقف في هذا البحث مُقتصياً المُحتوى الذي تميّز به معجم أساس البلاغة للزمخشري في تتبّعه للشروح المجازية ، فكيف تعامل مع المُحتوى المشروح للمداخل المُعجمية ؟ وأثر تلك الشروح في التّوسع الدّلالي ؟

يرى عبد القاهر الجرجاني (ت 471 هـ) أن دلالة المجاز مُعقّدة و مُركّبة خلافاً لما هو معهود ، و " الكلام على ضربين ، ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ، و ذلك إذا قصدت أن تُخبر عن زيد مثلاً بالخروج على الحقيقة فقلت : " خرج زيد " و بالانطلاق عن عمرو فقلت : " عمرو منطلق " على

هذا القياس ،و ضرباً آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ،و لكن
يذلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة ،ثم تجد لذلك المعنى دلالة
ثانية ،تصل بها إلى الغرض و مدار هذا الأمر على "الكناية" و"الاستعارة"
و"التمثيل" (4) .

إن أهمية المجاز اللغوية ،والبلاغية تتجلى في ترقية الأسلوب اللغوي ،وفنية
المجاز لا يمكن حصرها في جزئية واحدة ،وإنما هي كل متكامل وفيه تجتمع قلة
الألفاظ مع كثرة المعاني والتأثير في السامع وهو ما أكدّه ابن الأثير (ت637هـ) "
وأعجب ما في العبارات المجازية أنها تنقل السامع من خلقه الطبيعي في بعض
الأحيان ،حتى أنها يسمح بها بالخيال ويشجع بها الجبان ويحكم بها الطائش المتسرّع
(5) فاللغة المجازية موصّرة و مُشخصة وتوظيفها يؤثّر في النفوس ،ويسمو بها .

لقد حظي الزمخشري باهتمام الكتاب والمؤلفين ،والدارسين الذين جاءوا من
بعده ،ومن الذين خصّوه بالذكر والتعريف في مؤلفاتهم ابن خلدون (ت808هـ)
في مقدمته منها قوله : " ومن الكتب الموضوعة أيضا في اللغة كتاب الزمخشري
في المجاز ،وسمّاه أساس البلاغة بيّن فيه كلّ ما تجوزت به العرب من الألفاظ
،فيما تجوزت به من المدلولات"(6) ففيه تتبّع الزمخشري الألفاظ تتبعا دلاليا من
الوجهتين:الحقيقة والمجاز .

إن محتوى " أساس البلاغة " تضمّن دلالة اللفظ من الوجهة الحقيقية
والتعقيب عليها بما قيل فيها من مجاز - كلّما اقتضى الأمر ذلك - ،ومما صنّبوا
إليه صاحبه الإمام باللغة العربية ومعانيها ،وتحسين أسلوب الناشئة حيث أشار إلى
ذلك في مقدمة معجمه ،و قد أوجزها في " تخيير ما وقع في عبارات المبدعين
،وانطوى تحت استعمالات المُفلقين ،أو ما جاز وقوعه فيها ،وانطواؤه تحتها من
التراكيب ،التي تملح وتحسن " (7) .

لقد جمع فيه الزمخشري أقوال المبدعين مما كان واسع الاستعمال حقيقة
ومجازا منها: " تأسيس فصل الخطاب والكلام الفصيح بإفراد المجاز عن الحقيقة ،
والكناية عن التصريح " (8) ، فالكثير من غير المُطلعين على فحواه ،يحكمون على

عنوانه حُكْمًا ظاهريًا ، و يُصنّفونه من الكتب التي تبحث في علوم البلاغة ، وهو حكم سطحي لا يتعدى عنوانه ، " فالحقيقة والمجاز هما اللذان يحكمان بيان الدلالة في أساس البلاغة ، مع أنه معجم لغوي لا كما يتصور من لائحة العنوان إنه مباحث في علوم البلاغة العربية " (9) ، فبالإضافة إلى الدلالة اللغوية الحقيقية ، وما تتضمنه من عبارات خرج صاحبه إلى ما قيل من مجاز .

معالم شرح المجاز في أساس البلاغة :

إنَّ المقصود بشرح المجاز عند الزمخشري في أساس البلاغة ، هو ما عناه في قوله : " ومن المجاز ، ومن الكناية ، ومن المستعار " ، وفيها تتبّع الزمخشري تجوّزات العرب للكلمة ، و من خلال قراءتنا للشروحات المجازية الواردة في أساس البلاغة وقفنا على جملة من المعالم منها :

الإيجاز :

وهو مثبت في أغلب مواد المعجم نحو مادة (أتب) " و من المجاز : هذا غلامٌ قد تَأْتَبَ السِّلَاحُ أَي : لَبِسَهُ ، وتَأْتَبَ القَوْسَ ، إذا أخرج مَنَكَبِيَهُ مِنْ حِمَالَةِ القَوْسِ فصَارَتْ عَلَى كَتِفِيهِ " (10) ، فالملاحظ لهذه المادة ومثيلاتها ، يقف على اعتماد الزمخشري للإيجاز في شرحه للمجاز والذي نقصده به هو خدمة اللفظ للمعنى ، فلا تكرار مُملّ ، ولا غموض نتيجة قلّة الألفاظ بلْ كُلّ ما في الأمر تركيزه على تجلية المعاني المستهدفة ، أو المعنى المستهدف ، وهو ما يتجلّى في مادة (أدب) " ومن المجاز : جَاسَ أدبُ البَحْرِ ، إذا كَثُرَ مَآوُهُ " (11) الأمر الذي عناه الجاحظ وهو يُقدّم معنى الإيجاز في قوله : " قال معاوية بن أبي سفيان - رضي الله تعالى عنهما - لصحّار العبدي : ما الإيجاز ؟ قال أنْ تجيب فلا تبطئ ، وتقول فلا تخطئ " (12) ، و الذي يرقى بكلامه إلى مصاف هاتين الصفتين في إفادة المتلقي ، نقول عنه أنّه قد أوجز ، فأصاب .

انتقاء الوحدات الشارحة :

إذا كان الإيجاز ميزةً وظاهرةً ملاحظةً على شروحاته المجازية " فكثرة حروف الكلمة إذا استعملت في الشعر خاصة كانت قبيحة ، ولو كانت عربية كما في (سويداراتها) من قول المتنبي :

إِنَّ الْكَرِيمَ بِلَا كِرَامٍ مِنْهُمْ *** مِثْلَ الْقُلُوبِ بِلَا سُيُودَارَاتِهَا

فالمتنبي خرج إلى الشاذ النادر في تركيب لفظ من حروف كثيرة فقبح طولها وكثرة حروفه والطول وحده قبيح" (13) ، وقد يرجع السرّ في ذلك إلى صعوبة قراءتها والتوالي عليها نتيجة عدد حروفها المعتبر وهي وإن كانت في الشعر قبيحة ، فإنّ الزمخشري في شروحاته المجازية اعتمد على الكلمات القصيرة وتغادى كل ما هو شاذّ نادر في تركيب الألفاظ في مادة (أجب) ، ومن المجاز : مرّ يؤجّ في سيره إذا كان له حفيف كحفيف اللهب ، وقد أجّ أجّة الظليم ، وسَمِعْتُ أجّة القوم : حفيف مشبههم واضطرابهم" (14) ، فالتأمل لتركيبة شرحه المجازي يقف على حسن الانتقاء ، وخدمة الألفاظ للمعاني الموطّفة ، وما نستخلصه منها في الشرح المجازي اعتماده فيها على الكلمات المحدودة ، وتغادي كل ما هو غريب إلّا من باب التمثيل لتقريب المعنى و تدليله ، وهو المقام المناسب بطبيعة الحال للشارح ، الأمر الذي أكدّه إبراهيم أنيس في قوله : " أَقَلُّ قَدَرٍ مِنَ الْكَلَامِ يُفِيدُ السَّامِعَ مَعْنَى مُسْتَقْلًا بِنَفْسِهِ ، سِوَا تَرْكِبٍ هَذَا الْقَدَرِ مِنْ كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ أَكْثَرَ " (15) . فالملاحظ لبناء الجمل عنده يستقر على رأي مفاده تبني صاحب الأساس للإيجاز الذي يُعدُّ مرتكزاً لتحقيق المعنى البلاغي .

الإلمام بمعاني اللفظ :

ولا ينبغي أن نفهم الإلمام بمعاني اللفظ إسهاباً وتوسيعاً مُمِلّاً في شروحاته المجازية التي قصد بها الإحاطة بما قيل فيه مجازاً ، وهو ما نقف عليه في مادة : (ثقب) " و من المجاز : كَوَكَّبَ ثَاقِبٌ وَدُرِيٌّ " : شديد الإضاءة والتألُّؤ ، كأنه يثقب الظلمة فينفذ فيها و يدرؤها و قد ثقب ثَقُوبًا ، و ثقب إذا جرى فيه الماء و أوزق "

(16)، و إذْ توسَّعَ في هذا المدخل المعجمي وغيره، فمن باب الإحاطة به وسرد ما قيل فيه بغية توفية و إنصاف اللفظ حقّه .

والتوسع لا يعني الإسهاب والاستطراد ، بل المقصود به الإمام بمعانيه دون الإطالة في تركيب المادة ، فالتنوّع في عملية التناول لشرح المجاز أكسب الوحدات المشروحة ثراء لغوياً، إلّا أنّ الذي ينبغي أن يُطرح كاستفهام مفاده:

- لماذا لم يُعقَّب على كلّ المُدخّلات ، وما قيل فيها من مجاز واكتفى بالتعقيب على ما رآه مناسباً؟ ثمّ ، هل من علاقة بين خطّة المجاز ، و منحي الاعتزال ؟

وللإجابة على هذه الأسئلة الافتراضية يحضرنا رأي أستاذنا مختار لزعر الذي ربط بين توجهات المعتزلة والفكر اللغوي في قوله : " إنّ المعتزلة كانوا لا يحبون ولا يقبلون التوسّع كثيراً في الاستعمالات المجازية ويحرصون على البعد عن التأويلات المجازية ، وذلك كلّما وجدوا في الحقيقة مخرجا وحلاً " (17) ، وهي الفكرة التي تفسّر لنا ظاهرة المجاز و تحديده في أساس البلاغة كما تتماشى و تمجيد المعتزلة للعقل ، وفيها تتبّع الزمخشري تجوّزات العرب للكلمة ، وبما أنّه معتزلي والمعتزلة " كانوا يعنون بالتحصيل الواسع والمعرفة الشاملة ، كما كانوا يعنون بالأصول النقدية التي يُميّزون بها المعارف ، ويقدرّون بها الآثار وإلى جانب ذلك كانوا يعنون بأبلغ العناية بطريقة الأداء بطرفها دقة التعبير ، وبلاغة التأثير " (18) ، فاشتهروا بالمعرفة الواسعة التي مكنتهم من تمحيص الأمور وتمييزها .

ومن الذين أيّدوا هذه الفكرة وليد قصاب ، حيث ربط بين اللغة المجازية ، والاتجاه الاعتزالي في قوله : " و حتّى يَسْتقيمَ لهم توجّيه الآيات و النُصوص التي تُخالف هذه العقائد ، كانوا يُحاولون في ضوء التوسّع في استعماله أن يفهموا النّصّ القرآني فيما يبعده عن تصورات المشبهة و الجبرية وأهل السنة أحيانا " (19)

لذا كان لزاماً من أن ينهّج هذا المنحى لاعتبارات جمّة أهمّها : عنوان المعجم " أساس البلاغة " و من عنوانه يمكن للدارس أن يعرف غايته وهدفه ، فهو لا يقصد إلى أن يستقصي ولا إلى أن يجمع ، بل يقصد إلى المعاني المجازية والأساليب البلاغية " (20) .

إنَّ الذي تميَّز به أساس البلاغة يمكن حصره في توسُّعه الدلالي من خلال اهتمامه وتركيزه على الكلمات ،و العبارات والأساليب التي ذاع استعمالها واشتهارها بين الأدباء والبلغاء مستعينا في تجليتها على الشواهد المختلفة ،ومن هنا جاءت أهميته الأسلوبية في الدرجة الأولى بالإضافة إلى أهميته كمُعْجَم لغوي ،ثمَّ إنَّ قَمَّةَ الإبداع في الكلام الفني نلمسه في التعبير المجازي بشكل أوسع منه في التعبير الحقيقي ،وهو ما ذهب إليه فريد عوض في قوله : " أنَّ يتحقَّق من المجاز الشيء البديع " (21) ،باعتباره يخرج عن المألوف والعادي .

إن اهتمام الزمخشري بالمجاز يبدو جليا وصريحا في قوله : " ومن خصائص هذا الكتاب تخيُّر ما وقع في عبارات المبدعين ،وانطوى تحت استعمالات المُفْلِقين ،أو ما جاز وقوعه فيها وانطواؤه تحتها ،من التراكيب التي تملح وتحسن ،ولا تنقبض عنها الألسن ،لجريها رَسَلاتٍ على الأسلات ومرورها عَذَبَاتٍ على العَذَبَات " (22) ،فالمجاز الذي اعتمده الزمخشري في معجمه مبني على التخيُّر والانتقاء ،فهو لم يخص كلَّ كلمات المعجم بما قيل فيها مجازا ،وإنَّما الكلمات التي انطوى تحتها ما ملح ،وحسُن من التراكيب ففي باب الهمزة مثلا : تعرَّض للكلمات التي أبس ، أبش ، أبص بالشرح الحقيقي على التوالي ،دون أن يُعقَّب عليها بما هو مجازي ،وقد يرجع ذلك إلى قاله في مقدمته ،فتقادى اعتماده باعتباره لا يف بما سطره ،وبعد توفيقته لكلمة " أبط " حقيقة يُعقَّب عليها بما تخيَّره لها من المجاز فيقول : " ومن المجاز : نزل بِأَبْطِ الرَّمْلِ وهو مَسْقَطُه ،وبأبط الجبل وهو سفحه ،وضرب أَبَاطِ المفازة ، وتقول ضرب أَبَاطِ الأمور ومعانيها ، واستشف ضمائرُها وبواطنُها " (23) .

وقد أُتبعها بمادة (أبق) دون خصِّها بشيء من المجاز بينما (أبل) ألحقها بالمجاز ،وهكذا فالمعيار الذي اعتمده الزمخشري في شرح المجاز أخضعه للمادة ومدى استعمالها واسترسالها ،وتضمنها لعبارات المبدعين ،إلاَّ أنَّ المنهج الثابت الذي نقف عنده من بداية المدونة إلى آخرها هو اعتماده على مادة الكلمة المشروحة شرحا حقيقيا والتعقيب عليها مجازا ،حتى إذا استوفاه دخل في مادة أخرى وهكذا ،

مِمَّا طبعه بطابع نظامي، سهَّلَ على الباحث بلوغ أهدافه من المعنى المجازي، بعد تأكده من المدخل المعجمي نحو مادة (أجج) يشرحها حقيقة ثم يقول: "ومن المجاز: مرَّ يُوْجُ في سيره إذا كان له حفيف كحفيف اللهب، وقدَّ أجَّ أجَّة الظليم، وسمعت أجَّة القوم: حفيف مشيهم واضطرابهم" (24).

إن الملاحظ للمدخل المعجمي يجده غير قارٍ وفق صيغة، أو شكل ثابت، وإنما يأخذ أشكالاً وتصريفات تبعاً لما قيل فيه لتأديته الوظيفة المجازية في الجملة، وهو ما يمكن ملاحظته في المثال أعلاه: يُوْجُ، أجَّ، أجَّة.

وبما أن الكناية من المجاز نجد يُصرَّح بها بعد الشرح المجازي لنفس المدخل المعجمي ففي مادة (أدم) وبعد شرحها شرحاً حقيقياً يعقب عليه بقوله ومن المجاز و يردفها بقوله: "ومن الكناية: فلان مُؤدَّمٌ مُبَشَّرٌ لِلّينِ في خُسُونَةٍ، وليس تحت أديم السماء أكرمُ منه، وأتيتَه شدَّ الضحى وراد الضحى وأديم الضحى، بمعنى وظلَّ أديم النهار صائماً وأديم الليل قائماً أي: كَلَّه، قال بشر يصف إبلا:

فَبَاتَتْ لَيْلَةً وَأَدِيمَ يَوْمٍ *** على المنهى يُجَزُّ لها النِّعَامُ
وقال معقل بن عوف بن سبيع:

فَبَاتُوا حَوْلَنَا حِرْساً وَبَاتَتْ *** أديم الليل لا يعذُّ فنَّ عوداً

وفلان إدام قومَه وأدم بني أبيه: لئِمَالِهِمْ وقوامِهِمْ، ومن يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وهو أدمَة قومِه: لِسَيِّدِهِمْ ومُقَدِّمُهُمْ، وأتدَم العود، إذا جرى فيه الماء" (25).

إن الشروحات المجازية لمادة (أدم) عني بها الفعل "أدم" وهو وارد في كل جملة استهدفها إلا أن وروده قد يأخذ بيانا، وأشكالاً تبعاً لما روي وحفظ فنجد: مؤدم، أديم، إدام، أدم، أدمَة وادتم" وهو لم يراع فيها بداية الكلمة المعنية بالشرح، ولو كان كذلك لقدَّم الجملة التي تتضمن الكلمة الثلاثية على الرباعية ولا يستهدف من الثلاثية ما يخدم الترتيب الهجائي، وفي مثل هذه الحالة قد نجد أنفسنا مضطرين إلى تقديم ما أخره وتأخير ما قدَّمه، إلا أن هذه النظرة لم تكن خفية على الزمخشري وكان بإمكانه أن ينجزها، ولكنها قد تكون على حساب الأداء البلاغي، لذا أثر

المنهجية البلاغية في شرح المجاز على الهجائية الألف بائية في ثنايا المادة الواحدة

وقد يلجأ في كثير من شروحاته المجازية إلى إلحاق الكناية بالمجاز في شرح نفس المادة قائلاً: " ومن الكناية: ليس بين الدراهم والأدم مثله، يريدون بين العراق واليمن، لأنَّ تَبَايَعَ أَهْلِهَا بِالْأَدَمِّ وَالْأَدَمِّ. قَالَ أَوْسُ بْنُ حَجَرَ: وما عدلتُ نَفْسِي بِنَفْسِكَ سَيِّدًا *** سَمِعْتُ بِهِ بَيْنَ الدَّرَاهِمِ وَالْأَدَمِّ " (26)

بمعنى أنه يفصل بين المجاز والكناية باعتبار أن الكناية قسم من المجاز وقد فرَّق القزويني بينهما حيث قال: " فالفرق بينها وبين المجاز من هذا الوجه أي: من جهة إرادة المعنى مع إرادة لازمة، فإنَّ المجاز ينافي ذلك، فلا يصبح في نحو قولك " في الحمام أسد " أنْ تريدَ معنى الأسد من غير تأوّل؛ لأنَّ المجاز ملزوم قرينه معاندة لإرادة الحقيقة كما عرفت، و ملزوم معاند الشيء معاند لذلك الشيء " (27)

وهو ما وقفنا عليه كذلك في مادة (بدد)، حيث يردف شرح المجاز مباشرة بقوله: " ومن الكناية: سَمِعْتُ مُرْشِدَ بَنٍ مِعْضَادِ الْخَفَاجِيِّ يَقُولُ: خَرَجْتُ أَبْدُدُ، كُنَى بِذَلِكَ عَنِ الْبَوْلِ " (28)، كما قد يكفي بإلحاق شرح الحقيقة مباشرة بقوله: " ومن الكناية في مادة (بدي) " أبدى الرجل قضى حاجته " (29)، ثم ينتقل إلى مادة أخرى، وبالإضافة للكناية حصر بعض التجوزات في مصطلح " ومن المستعار "، وهو ما نلمسه في مادتي: (عنج)، و (عند) في قوله: " ومن المستعار: هذا قول لا عِناجَ له، قال الحطيئة:

وبعضُ القولِ ليسَ لَهُ عِناجٌ *** كَمَخَضِ الْمَاءِ لَيْسَ لَهُ إِتَاءُ

وهذا عِناجُ أمرك، أي: ملاكُه، وعِناجُ فلانٍ إلى فلانٍ أي: أمره، وما يُصَرِّفُ به، ويقال: أعرابي فيه عُنْجُهُيةٌ أي: جفاءٌ وكِبَرٌ.

وفي مادة (عند): عِرْقُ عانَد: لا يرقأ، وسحابة عُنود: لا تكادُ تُقَلِّعُ قال الراعي:

باتت بشرقيٍّ يؤودُ مُباشرةً *** دَغِصًا أَرَدَ عَلَيْهِ فُرْقٌ عُنْدُ

و استعنده الدمُّ والقيء ، إذا كثر خروجه منه ، يقول الرجل : هو عندي كذا ، فيقال له : أولئك عند ؟ " (30) ، وبعض الشروحات أوردتها ضمن مصطلح " ومن المشتق منه " ، وهو ما وقفنا عليه في مادة (أنف) ، " ومن المشتق منه : فيهم أنفة ، وأنف ، وقد أنف من كذا " (31) .

ولعل السرّ في استعماله ومن "المستعار" عوض و"من المجاز" يرجع إلى التخصيص باعتبار أن محتوى المادة في هذا القول مستعار من خاصٍّ ووظف في مجال آخر ، ومنهجه في طرح هذا المضمون هو نفس المنهج المتبع في " ومن المجاز " .

منهج الزمخشري في شرح المجاز :

- تحديد مواطن استعمال اللفظ:

امتاز منهجه بالوضوح في إنجاز مادة كتابه ، ومن الأحكام التي استقيناها في المجال ما جاء به عبد الكريم الرديني في قوله : " لقد نهج الزمخشري في شرح الكلمات منهاجا خاصا به فهو لا يُفسرُ الكلمة بل يشير إلى مواطن استعمالها ، يذكرها في عبارات مؤلفة ، أو مأثورة من فصيح الكلام العربي شعره ونثره ، ويترك للقارئ استخلاص معانيها المختلفة بنفسه من سياق العبارات التي ترد فيها " (32) .

إنّ هذه الطريقة المعتمدة تعكس حقيقة التوجه المحصور أساسا في بيان استعمال اللفظ وذكر المأثور العربي من العبارات شعرا ونثرا ، فهو في مادة (أكم) يقول : " ومن المجاز : لا تَبَلْ على أكمه ، ولا تُفْسِرْ سيرك إلى أمه (33) ، حيث ذهب مباشرة إلى الاستدلال بالقول المأثور المتضمن لأصول المادة المستهدفة بالشرح ، دون أن يُفسرها بكلمة مفردة تاركا للقارئ استخلاص معانيها .

وهو الموقف الذي تبناه رحاب خضر عكاوي في تحديد منهجية الزمخشري في شرح الكلمات حيث اعتمد " نهجا خرج به عن المسار الذي عرفناه في المعاجم التي سبقت معجمه ، فهو لا يُفسرُ كلمة مكان كلمة ولا كان هدفه حصر لغة العرب حصرا شموليا ليعرّف بمفرداتها ومعانيها ولكنه كان ينتقل في أنحاء البلاد التي

رحل إليها فتسمح له الفرصة سماع الأعراب في البوادي والخطباء في النوادي " (34)

- الاستشهاد :

فالزمرخشري لم يتتبع تفسير الكلمة بكلمة ، كما أن مُجمعه لم يضمه كل مفردات العربية ، وإنما جمع فيه ما أمكن من رونق القول و فصيحته لإشباع اللفظ دلالاته من خلال سرد ما قيل فيه ، وهو ما نجده مستوفيا في كثير من منواده المجازية حيث يجمع بين الفصيحين النثري والشعري ، ويسعى من خلال الاستدلال بهما إلى بيان دلالات اللفظ المجازية بناء على ما قيل في المجال ، وانظر إليه مثلاً في مادة (أمم) وهو يقول : " مَنْ أُمُّ مَثَوَك ؟ وبلغت الشَّجَّةُ أُمَّ الدِّماغِ ، وهي الجلدة التي تجمعها . وشجة أُمَّة ومأمومة ، ورجل أميم ، وقد أُممته بالعصا ، وما أشبه مجلسك بأُم النجوم ، وهي المجرة لكثرة كواكبها ، وهو من أمهات الخير : من أصوله ومعادنه ، وقوم البناء على الإمام وهو الزُّبُّقُ وأنشد التوزي : وَخَلَقْتُهُ حَتَّى إِذَا تَمَّ وَاسْتَوَى *** كَمَخَّةٍ سَاقٍ أَوْ كَمَتْنِ إِمَامٍ

قَرَنْتُ بِحَقْوِيهِ ثَلَاثًا فَلَمْ يَزِغْ *** عن القصْدِ حَتَّى بُصِرْتُ بِدِمَامٍ

أي : دُمِيتُ من البصيرة بما دمّه ، أي : لطحه ، يعني أنه نفذ في الرمية فتأطخ بالدم ، وحفظ الصبي إمامه ، وأم فلان أمرا حسنا ، قصده وأراده ، وهو أمة وحده " (35) ، فما اعتمده كخطوات في شرح هذه المادة شرحا مجازيا تميّز بتفانيه للشرح القاموسي الذي يهتم باستبدال لفظ مقابل آخر بل جمع التراكيب و التعابير التي تخدم الكلمة ، واجتهد في تعيين دلالاتها وتحديد معانيها ، مع التنويع في الاستدلال بين القرآن والحديث والنثر والشعر .

ولعلَّ قصده من شرح المجاز وفق الخطوات المشار إليها أعلاه ليس إلا من باب إطلاعنا على استعمال الكلمة في أساليب شتى ، حيث " يرمي إلى تبيين مراسم البلاغة في أقوال العرب ليسموا منها إلى مراسمها في القرآن الذي نزل بلغتهم ، وعلى سننهم في التعبير والهدف البعيد لكل ذلك ، ديني كما هو واضح ، لأن الإنسان بعد أن يعرف هذه الأسس البلاغية يكون صدر يقينه أثلج وسهم احتجائه

أفلح " (36) ، وإذا كان اهتمام الزمخشري بأقوال العرب البليغة ، واعتمادها في شروحاته المجازية قد اتضح ، فإن الذي يؤكد هذا الاتجاه ويجسده عدم اهتمامه بترتيب المادة في الشرح المجازي ، وحشده ما أمكن لها من الأقوال بغية الإحاطة بمعانيها نحو مادة (أمر) " و من المجاز : مهرة مأمورة : كثيرة النتاج كأنها أمرت بذلك ، وقيل لها : كوني نثورا فكانت وما في الرّكبة تأمور أي : ماء ، وهذا كما قيل له النفس : قال :

أَتَجْعَلُ النَّفْسَ الَّتِي تُدِيرُ *** فِي جِلْدِ شَاةٍ ثُمَّ لَا تَسِيرُ " (37)

لا يهتم الزمخشري ببناء المدخل المعجمي ، ومراعاة ترتيبه الهجائي أثناء تعرضه للشرح المجازي ، بل يكفي بسرد ما قيل فيه خدمة للمقام البلاغي الذي يتماشى والهدف المسطر من تأليفه للمعجم .

إنّ المتنبّع للشرح المجازي عند الزمخشري ، قد تستوقفه تلك الخطوات وهو يشرح الألفاظ شرحا مجازيا ، حيث يستهل العملية في الغالب بقول مأثور ثم يردفه بمعناه وقد تكون كلمة أو أكثر ، كما يدعم ما ذهب إليه بقول ثانٍ من باب تأكيد الموقف الأوّل ، ووفق منحى شعري للتنويع ، ففي مادة (أور) " و من المجاز : كاد يُعْشَى عليه من الأوار ، وهو العطشُ ، كما قيل له الحرّة ، قال :

ظَلَلْنَا نَخِيطُ الظَّلْمَاءَ ظُهْرًا *** لَدَيْهِ وَ الْمَطْيُ بِهِ أَوَارُ

" جَوَّعَهُمْ حَتَّى أَظْلَمَتْ أَبْصَارُهُمْ ، فَكَانَهُمْ ظُهْرًا فِي لَيْلٍ مُظْلِمٍ ، وَرَجُلٌ أَوَارِيٌّ : شَدِيدُ الْعَطَشِ " (38) ، وكلّما اقتضت الضرورة عدد من مواقف المدخل الواحد ، ففي مادة (بخع) ، " ومن المجاز : بخعة الوجْدُ ، إذا بلغ منه المَجْهُودُ ، قال ذو الرّمة أنشدّه سيبويه :

أَلَا أَيُّهَا الْبَاخِعُ الْوَجْدِ نَفْسَهُ *** لَشَيْءٍ نَحْتَهُ عَنْ يَدَيْهِ الْمَقَادِرُ

وَبَخَعْتُ لَهُ نَفْسِي وَنَصَحِي : جَهَدْتُهُمَا لَهُ ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ أَبْخَعُ طَاعَةً ، وَبَخَعَ أَرْضَهُ بِالزَّرَاعَةِ : نَهَكَهَا وَلَمْ يُجَمِّهَا ، وَبَخَعَ لِي بِحَقِّي ، إِذَا أَقَرَّ إِقْرَارَ مُذْعِنٍ بَالِغٍ جُهِدَ فِي الْإِذْعَانِ بِهِ " (39) ، وهو يُريد به بلوغ عنصر التّعزير والإحاطة ، وفي منهجه للشرح المجازي يبدأ بما هو قريب ملموس فمن مينا لا يعرف ما يترتّب عن بذل

المجهود من تعب وإرهاق ؟ لذا يبدأ في كثير من شروحاته المجازية بما هو قريب عام ، و يصل إلى ما هو خاص جزئي ،موظفاً بعض علامات التفسير الفاصلة بين القول المأثور والقول الشارح وهي عموماً : " إذا ، أي " .

كما أنَّ حُسْنَ انتقاءه للشاهد اللغوي ،والاكتفاء به شرحاً دون تحليل نتيجة تضمُّنه للمعنى المجازي يعتمدُها في كثير من الحالات ،نحو مادة (بخل) " ومن المجاز :قول أبي النِّجم :

والضَّامِّينَ عَثَرَاتِ الدَّهْرِ *** إِذَا السَّمَاءُ بَخَلَتْ بِالْقَطْرِ " (40)

إنَّ المجاز الذي اعتمده الزمخشري في معجمه مبني على التخيُّر والانتقاء، الأمر الذي أكسب الألفاظ توسُّعاً في دلالتها ،فهو لم يخصَّ كلَّ كلمات المعجم بما قيل فيها مجازاً ،وإنَّما الكلمات التي انطوى تحتها ما ملَّح ،وحسُن من التراكيب ،وهو الأصح في تدريس البلاغة .



هوامش وإحالات:

1. محمد حسين آل ياسين ، الدراسات اللُّغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث ، منشورات دار مكتبة الحياة ببيروت لبنان ، الطبعة الأولى 1980 ، ص226 .
2. المرجع نفسه ، ص 226.
3. المرجع نفسه ، ص 226.
4. عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، شرحه وعلق عليه ووضع فهارسه د. محمد ألتُّنجي الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي ،بيروت - لبنان: 1425هـ - 2005م ، ص262 .
5. ابن الأثير ، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ، تحقيق د.أحمد الحوفي و. بدوي طبانة ، مطبعة النهضة مصر 1961م ، 1 / 26 .
6. ابن خلدون ،ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع ،بيروت لبنان ، 2004 م ، ص 569 .
7. الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر ،أساس البلاغة، دار صادر للطباعة والنشر، دار بيروت للطباعة بيروت 1956م ، ص 6.

8. المصدر نفسه ، ص 8.
9. عبد القادر عبد الجليل ، المدارس المعجمية ، ط 1 1999م ، دار الصفاء للنشر والتوزيع - عمان، ص 263 .
10. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 11.
11. المصدر نفسه ، ص 13.
12. الجاحظ أبو عثمان عمر وبن بحر، الحيوان، حققه وقّمت له المحامي فوزي عطوي، مكتبة محمد حسين النوري ، ديمشق سوريا مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني بيروت، ط 1، 1387 هـ / 1968 م ، الجزء الأول ، ص 63.
13. حسين جمعة ، في جمالية الكلمة (دراسة جمالية بلاغية نقدية) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق ، 2002 م ، ص 34.
14. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 4.
15. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ط 5، 1979 م ، ص 276 .
16. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص 73.
17. مختار لزعر ، التصور اللغوي في الاعتزال ، دار الأديب للنشر والتوزيع ، وهران 2006م، ص 116.
18. د. طه الحاجري ، الجاحظ حياته وأثاره ، ط 2 ، دار المعارف مصر ، دتا ، ص 68 .
19. وليد قصاب ، التراث النقدي و البلاغي حتى نهاية القرن السادس الهجري ، دار الثقافة الدوحة ، 1405 هـ - 1985 م ، ص 346.
20. عبد القادر أبو شريفة وآخرون ، علم الدلالة والمعجم العربي ، ط 1 ، دار الفكر للنشر والتوزيع عمان ، 1989 م ، ص 140 .
21. فريد عوض حيدر، علم الدلالة دراسة نظرية تطبيقية، مكتبة النهضة المصرية القاهرة ، 1999م ، ص 2.
22. الزمخشري ، أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص 8.
23. المصدر نفسه ، ص 10.
24. المصدر نفسه ، ص 12.
25. المصدر نفسه ، ص 13.
26. المصدر نفسه ، ص 13.

27. الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني البيان البديع ، د.ط.د. تا ص 330
- 331 .
28. الزمخشري ، أساس البلاغة ، الزمخشري ، ص . 32
29. المصدر نفسه ، ص . 33
30. المصدر نفسه ، ص 436 . 437 .
31. المصدر نفسه ، ص . 23
32. محمد على عبد الكريم الرديني ، المعجمات العربية دراسة منهجية ، ط2 ، دار الهدى
عين مليلة الجزائر 2006 م ، ص 116 . 117 .
33. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص . 20
34. رحاب خضر عكاوي ، موسوعة عباقرة الإسلام في النحو واللغة والفقہ ، دار الفكر
العربي بيروت ، د - تا ، الجزء ، الثالث ، ص 181 .
35. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص . 21
36. محمد على عبد الكريم الرديني ، المعجمات العربية دراسة منهجية ، ص . 115
37. الزمخشري ، أساس البلاغة ، ص . 21
38. المصدر نفسه ، ص . 24
39. المصدر نفسه ، ص . 31
40. المصدر نفسه ، ص . 31